



الداعية إلى التوحيد في ديار التصوف
معالم المنهج وسبل الدعوة ونخبات الطريق



مُحْفُوظَاتُ كُلِّ الْحَقِيقَاتِ

الطبعة الأولى

١٤٤٧ هـ



إدخال وتنسيق بحوث
تصميم جرافكس - تفرغ صوتيات
00967 774 576 999

اسم الكتاب: الداعية إلى التوحيد في ديار التصوف
معالم المنهج وسبل الدعوة وتحديات الطريق

كتبه: موسى بن ثابت بن محمد المطري

نوع الطباعة: ملون

عدد الصفحات: ٧٧

مقاس الصفحة: ٢٤×١٧

نوع الكتاب: bdf

إدخال وتنسيق: أبو حمدان الهاملي +٩٦٧ ٧٧٤٥٧٦٩٩٩

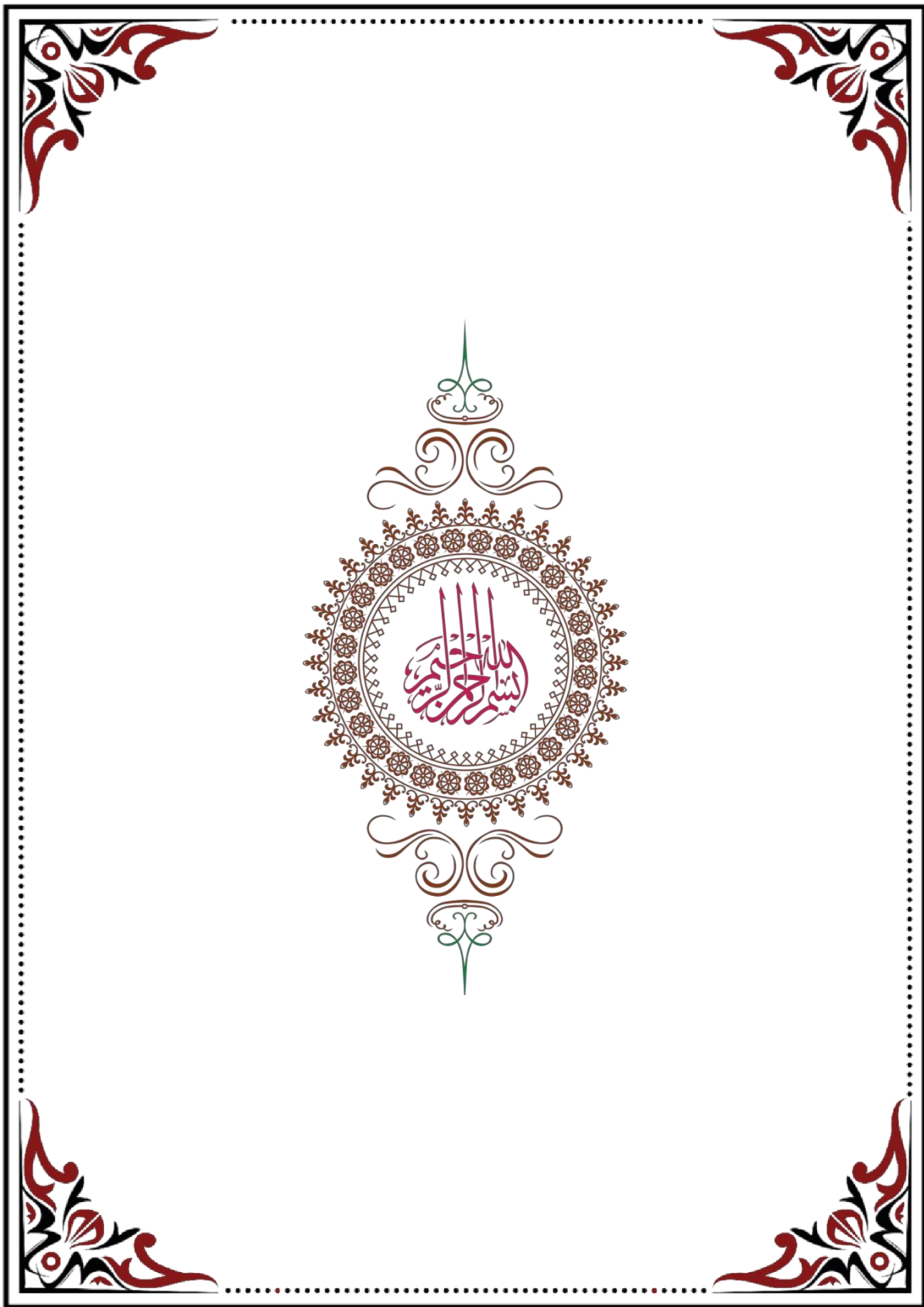
الداعية إلى التوحيد في ديار التصوف
معالم المنهج وسبل الدعوة ونحدربات الطريق



تأليف /

موسى بن ثابت بن محمد المطري

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِسَائِمِهِ وَالْمُسْلِمِينَ





المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسله مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وجعل كلمة التوحيد أساس الدين، وسبب النجاة في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه: ﴿قَاعَلِمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنبِكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمةً للعالمين، والداعي إلى صراط الله المستقيم، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أَتَا بَعْدُ:

فإن الدعوة إلى التوحيد هي أشرف المقاصد وأعظم الواجبات، وهي دعوة جميع الأنبياء والمرسلين، ولبُّ الرسالات السماوية، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فصلاح الأرض والسماء، والقلوب والمجتمعات، لا يكون إلا بتحقيق التوحيد الذي قامت عليه السماوات والأرض، وبه أرسل الرسل، وأنزلت الكتب، وقُسمت الجنة والنار.

غير أن واقع كثيرٍ من بلاد المسلمين، ولا سيما المواطن التي تغلب عليها الطرق الصوفية، يشهد انحرافاً ظاهراً عن حقيقة التوحيد، وانتشاراً للشركيات والبدع والخرافات، التي لبّست على العامة دينهم، وأضاعت معالم السنة بين غلوّ وجفاء، وجهلٍ وتقليدٍ أعمى.

فقد رُفعت القبور، واستُغيث بالمقبورين، ونُذِر للأولياء، وسُئلوا قضاء الحاجات، واعتُقد فيهم النفع والضرر، فضلّ كثير من الناس عن سواء السبيل. وفي وسط هذه الظلمات تتأكد مسؤولية دعاة التوحيد، الذين يحملون ميراث الأنبياء في تصحيح العقيدة، وهداية الناس إلى عبادة الله وحده، بالحكمة والموعظة الحسنة.

لكن الطريق في هذه المواطن ليس مفروشاً بالورود، فالداعية يواجه عقبات فكرية واجتماعية ونفسية، ويصطدم بعادات متوارثة وموروثات مغلوطة، تحتاج إلى بصيرة، وصبر، وحكمة، وعلمٍ راسخٍ يميز بين الغيرة على الدين وبين الجهل بفقهِ الدعوة.

من هنا جاءت فكرة هذا البحث بعنوان: (الداعية إلى التوحيد في ديار التصوف، معالم المنهج، وسبل الدعوة، وتحديات الطريق)، ليكون لبنّة في بناء الفقه الدعوي الراشد، يرسم للدعاة معالم الطريق في ميادين يغشاها الجهل، وتغلب عليها البدعة، فيتسلح الداعية فيه بالعلم والبصيرة، ويستضيء بنور



الوحي، مستنّاً بمنهج النبي ﷺ في دعوته لقومه بالحكمة والرفق واللين.



أهداف البحث

بيان أهمية الدعوة إلى التوحيد، ووجوب تقديمها على سائر أبواب الدعوة. كشف الانحرافات العقدية المنتشرة في البيئات الصوفية، وبيان خطرها على العقيدة.

توجيه الدعوة إلى المنهج الشرعي في التعامل مع أهل التصوف بالحكمة والبصيرة.

وضع خطوات عملية ووسائل دعوية فعّالة لنشر التوحيد في تلك المواطن. فهذا البحث محاولةً لجمع الأصول الشرعية، والوسائل الدعوية، والتجارب الواقعية، في إطارٍ يجمع بين صفاء العقيدة، وحكمة الدعوة، وبصيرة الداعية، سائلًا الله أن يجعله عملاً خالصًا لوجهه الكريم، وسببًا في نصرته دينه، وإعلاء كلمته، وهداية عباده.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه: موسى بن ثابت بن محمد المطري

١٤٤٧-٤-٢٦هـ



أسباب كتابتي لهذا البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،
نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَتَا بَعْدُ:

فقد تأملت حال كثيرٍ من المناطق التي استشرى فيها التصوف، وتوغلت
فيها البدع والخرافات والشركيات توغلاً عميقاً مؤلماً، حتى غدت تلك
المظاهر جزءاً من ثقافة المجتمع وعاداته، فكان لزاماً على أهل العلم والدعوة
وطلاب العلم أن يبينوا للناس سبيل الحق، ويكشفوا الغشاوة عن أعين من
التبس عليه الأمر.

وقد بلغني - سماعاً ومشاهدة - ما يجري في تلك المناطق، سواء عرفتها
عن قرب وذهبت إليها، أو وصلتني أخبارها ممن زارها ورأى واقعها عن كثب،
فرايتُ من الواجب الشرعي والضرورة الدعوية أن يُكتب في هذا الباب ما يُنير
الطريق للدعاة وطلاب العلم.

ومع ذلك، فإني أحمد الله تعالى وأشكره على أن جعل في تلك المناطق -
رغم ما فيها من الظلمات - رجالاً من دعاة السنة وطلاب العلم السلفيين الذين
حملوا راية التوحيد خفاقة، يجوبون القرى والبوادي، ويقىمون الدروس

والمحاضرات، لا سيما في شهر رمضان المبارك، الشهر الذي تجتمع فيه القلوب وتلين فيه النفوس.

وقد رأيتُ بعيني وسمعتُ عن نشاطٍ عجيبٍ ومثمرٍ لإخواننا السلفيين في السودان، والجزائر، والصومال، وكثيرٍ من دول إفريقيا، نشاطٍ قلَّ أن يوجد له مثل في الدعوة إلى التوحيد، رغم قلة الإمكانيات وضعف الوسائل، ولكن الله تعالى بارك في جهودهم، وكتب لهم القبول، وجعل لدعوتهم أثرًا طيبًا ظاهرًا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

غير أن الدعوة إلى الله لا تسلم من أعداء، وهذه سنة الله في خلقه، فما من دعاة إلى التوحيد إلا ويقف لهم خصومٌ يعارضونهم ويكيدون لهم، وعلى رأس هؤلاء في تلك المناطق أصحاب الطرق الصوفية وأتباعهم، الذين يرون في دعوة الحق تهديدًا وقطعا لمصالحهم ومكائنتهم، فيحاربونها بشتى الوسائل. ومن المؤسف أن بعض طلاب العلم السلفيين الذين نشأوا في بيئة سنية نقية بعيدة عن مظاهر الشرك والبدع، إذا خرجوا إلى تلك المواطن المليئة بالتصوف المتجنذر قد يواجهون صعوبة في التعامل مع الناس، وربما يتصادمون معهم في الأسلوب أو الطرح، فينشأ عن ذلك نفورٌ من الدعوة وأهلها، وتغلق القلوب قبل أن تسمع الحق.

لهذا رأيتُ أن أكتب هذه التوجيهات والنصائح لإخواني الدعاة إلى الله



تعالى، مستعيناً بالله، مستفيداً مما رأيت وسمعت بنفسي من مشايخي في ميدان الدعوة، لعل الله أن ينفع بها من يقرأها، وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، وأن يكتب بها الأجر والنفع والقبول. والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



خطة البحث



المقدمة

تشمّل على:

- أهمية الدعوة إلى التوحيد.
- بيان واقع مناطق التصوف وما فيها من شركيات وبدع.
- بيان أسباب كتابة البحث وأهدافه.

المبحث الأول: حقيقة التصوف وموقف أهل السنة منه.

- تعريف التصوف ونشأته.
- أبرز الانحرافات العقديّة والسلوكية فيه.
- موقف السلف والعلماء من الصوفية والطرق المنحرفة.

المبحث الثاني: واقع الدعوة إلى الله في مناطق يغلب عليها التصوف.

- نماذج من انتشار البدع في بعض البلدان الإسلامية.
- جهود دعاة السنة في تلك المناطق.

أسباب نجاح الدعوة رغم قلة الوسائل والإمكانات.

المبحث الثالث: التحديات التي تواجه دعاة التوحيد.

مقاومة دعاة البدع وأصحاب المصالح.

التشويه الإعلامي والتحريض الاجتماعي .

ضعف الإعداد العلمي أو الأسلوبي لبعض الدعاة .

المبحث الرابع: التوجيهات العملية للدعاة في التعامل مع بيئات التصوف .

أهمية الحكمة والرفق في الدعوة .

مراعاة المراحل التربوية في تصحيح العقائد .

التركيز على بيان التوحيد وأصول الإيمان بلغة يفهمها العامة .

الحذر من التصادم والمجادلة العقيمة .

التدرج في إزالة المنكرات والبدع .

المبحث الخامس: ثمرات الدعوة السلفية في تلك المواطن .

آثارها في تصحيح العقيدة ونبذ الشرك .

التحول المجتمعي في بعض القرى والمناطق .

نماذج واقعية من نجاح الدعاة السلفيين في إفريقيا وغيرها .

الخاتمة .

خلاصة النتائج وأهم التوصيات .

الدعاء بالتوفيق والقبول للدعاة العاملين .



تعريف التصوف ونشأته



التعريف:

الصوفية نسبة إلى لبس الصوف.

وهذا روجه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن خلدون وغيرهما^(١).

قلت: وقد اختلف في تعريف التصوف إلى أكثر من ألفين تعريف^(٢).

والحاصل أن التصوف يختلف تعريفه بحسب المرحلة التاريخية التي مر

بها، وحاصل أمره أن مصطلح الصوفية لم يرد لا في كتاب الله ولا في سنة رسوله

ﷺ بل هو مصطلح في جملة علامته على الباطل والبدع والخرافات.

(١) انظر: "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" (٦/١١) ومقدمة ابن خلدون (٢٩٥) - (٢٩٩).

(٢) انظر: "اللمع" (ص٣٧) و"التعرف لمذهب أهل التصوف" (ص٢٨) و"عوارف المعارف" (٥/٦٥) "المطبوع بذيل إحياء علوم الدين"، و"إيقاظ الهمم في شرح الحكم" (١/٥٤) تأليف: ابن عجيبة وقواعد التصوف (ص٣).



نشأة التصوف:

ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله إلى أن نشأة التصوف كانت في أوائل القرن الثاني، وأنه لم يكن مشهورًا إلا بعد القرن الثالث.



مراحل الانحراف



وقد ذكر ابن الجوزي رحمته الله وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله الأطوار التي مر بها التصوف، وحاصلها.

الطور الأول:

نزعة الزهد والورع والمبالغة في ذلك مع فقه في الدين، وهذا الطور كان من نهاية القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني.

وهذه المظاهر وجدت عند بعض التابعين، لكن لم يكن يصحبها شيء من الانحراف، لا في العقائد ولا في السلوك، إنما كان تشديدًا على النفس.

وحينما نتذكر هذا الطور، لا نقول بأنه الأصل في التصوف، لكن المتصوفة اتخذوه تكأة وزعموا أن منهم الصحابة والتابعين، لأنهم أخذوا أمثلة من التابعين ممن كانوا يشددون على أنفسهم وزعموا أنهم قدوة لهم، وهناك بعض نزعات السلوك عند بعض التابعين أظهرها الصوفية بشكل أكبر مثل شدة البكاء، والصعق عند سماع القرآن، وهذه اتكأ عليها الصوفية واتخذوها مسلكًا وطريقة.

ولذلك أرخ كثير من المؤرخين للتصوف بهذه المرحلة، وهذا خطأ، لأن

المتصوفة الذين بدأوا التصوف البدعي انتسبوا إلى زهاد التابعين وليسوا امتداداً لهم.

فينبغي عندما نؤرخ للصوفية أن نستبعد جميع الزهاد في القرن الأول الهجري.

❖ الطور الثاني:

ظهور النزعات الفردية، وتاريخ هذا الطور من منتصف القرن الثاني إلى القرن الثالث.

فظهر قوم يتعبدون بأذواقهم وأهوائهم دون استناد إلى أصول شرعية.

❖ الطور الثالث:

تحول الصوفية إلى اتجاهات وطرق، وبداية ظهور المؤثرات الخارجية من اليهودية والنصرانية والمجوس والديانات الهندية وغيرها.

وهذه مرحلة الغموض والمصطلحات، وكانت هي الطريقة إلى الخروج إلى عالم الإلحاد وهذا الطور في القرن الرابع.

❖ الطور الرابع:

ظهور التصوف الغالي، وامتزاج التصوف بالباطنيين، وهذا الطور الذي استقرت الصوفية بدأ تقريباً من منتصف القرن الرابع، فبدأت الطرق والمشيخة، وامتزاج الصوفية بالإلحاد والحلول ووحدانية الوجود وبهذا صارت الصوفية

مسالك شتى لا ينظمها عقيدة واحدة ولا اتجاه واحد لا في العبادة ولا في السلوك، وإنما يجمعها وصف الطريقة^(١).

(١) تاريخ التصوف بشكل مفصل مع ذكر الأسماء والمؤلفات في التصوف في "تلبيس إبليس" (ص ١٩٩ - ٢٠٥) و"مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله" (١١/ ٥، ٦، ١٨، ٢٩، ١٩٥) وكتاب "الصفدية" (١/ ٢٦٧) حيث ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله طبقات الصوفية وحكم كل طبقة.



مصادر التلقي عند الصوفية



من أهم القضايا التي تميز أهل السنة والجماعة عن الصوفية هي مصدر التلقي والمعرفة.

فالصوفية لا يلقون من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - بل إن استدلوا بالكتاب والسنة أولوا معانيهما إلى معان باطلة يزعمون أنها الحق.

وقالوا: إن للشريعة ظاهراً وباطناً علم الشريعة وعلم الحقيقة ولأنهم يعتقدون أن للشريعة ظاهراً وباطناً، كان من أئمة الصوفية أناس عوام لا يعرفون الكتاب والسنة.

فالحاصل أن ما هم عليه من معتقدات، لم يأخذوها من الكتاب والسنة، بل زعموا أنهم استفادوا ذلك من العلم اللدني، أي من الله مباشرة أي العلم الإلهي كما يدعون.

*** وحاصل مصادر المعرفة عندهم أكثر من أربعة عشر مصدرًا، من أشهرها:**

- ١- رؤية النبي - ﷺ - في اليقظة، والاستمداد منه.
- ٢- الالتقاء بالخضر والاستمداد منه: ومن ذلك الزعم بأنه حي.
- ٣- الإلهام الذي يسمونه العلم اللدني وهو ما يحصل من العلوم في القلب

من غير استدلال ولا نظر.

٤- الفراسة، وهي تختص بمعرفة خواطر النفوس، وأحاديثها، وما يضمه المرء في قلبه، فالولي عندهم أعطي من النور ما يعرف به كوامن النفوس.

٥- الهواتف: ومعناه سماع حكايات بواسطة الأذن، وقد يكون منامًا يسمع الصوت ولا يرى صاحبه.

٦- الإسراءات والمعاريج: ويعنون بها عروج روح الولي إلى العالم العلوي، وإتيانها بشيء من أسرار الكون.

٧- الكشف: ومعناه معرفة حقائق الوجود، بارتفاع الحجب الحسية عن القلب.

٨- الرؤى والمنامات: وسوف يأتي تعريفها عند الصوفية.

٩- الذوق، ويعنون به: نورًا يقذفه الله في قلوب الأولياء يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره.

١٠- الوجد: وهو ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف.

١١- تلقي المريد عن الشيخ.



أهم انحرافات الصوفية في العقيدة والعبادة والسلوك

❏ أولاً: في العقيدة والعبادة

- ١- الاستغاثة بالأولياء والأقطاب واعتقاد أنهم يتصرفون في الكون.
- ٢- دعوى الكشف والاطلاع على اللوح المحفوظ أو الغيب.
- ٣- الإيمان بالقطب الغوث الذي يزعمون أنه يدير شؤون العالم.
- ٤- التوسل البدعي بالأشخاص والذوات، لا بالأعمال الصالحة المشروعة.
- ٥- الاعتقاد في الأسماء المبتدعة مثل: الغوث، الأبدال، الأوتاد، الأقطاب.
- ٦- الغلو في الأولياء حتى رفعوهم إلى مقام العصمة أو النبوة.
- ٧- إباحة الاستعانة بالجن والتقرب إليهم أحياناً.
- ٨- ادعاء الحلول والاتحاد (أن الله يحل في المخلوقات أو يتحد بها تعالى الله عما يقولون).
- ٩- مخالفة النصوص الشرعية بالعقل والذوق وتقديم الكشف والإلهام على القرآن والسنة.
- ١٠- التشريع البدعي للطرق واعتبارها أصولاً مستقلة للتلقي والعبادة.

١١- إسقاط التكاليف الشرعية عن بعض شيوخهم بزعم أنهم وصلوا لمرتبة "اليقين".

١٢- القول بأن للشرع ظاهراً وباطناً، والباطن لا يعرفه إلا الأولياء.

١٣- الاعتقاد بالولاية العامة وأنها أعلى من النبوة.

١٤- الإيمان بتناسخ الأرواح عند بعض طوائفهم.

١٥- تأويل النصوص الشرعية بالرموز والإشارات، وصرفها عن ظاهرها.

١٦- ادعاء أن الرسول ﷺ يحضر مجالسهم يقظةً فيأخذون عنه مباشرة.

١٧- إدخال الفلسفة اليونانية والهندية في الدين بعبارات مثل: الفناء، النور

المحمدي، الحقيقة المحمدية.

١٨- الغلو في مقام النبي ﷺ حتى نسبوا له خصائص الربوبية.

١٩- ادعاء العلم اللدني الذي يُستغنى به عن الكتاب والسنة.

٢٠- القول بأن الشريعة للعوام والحقيقة للخواص.

٢١- إهمال توحيد الألوهية الذي أرسل الله الرسل وأنزل الكتب للدعوة إلى

إفراده بالعبادة سبحانه وتعالى

٢٢- إدخال مقولات الفلاسفة والباطنية في الدين (كالعقول العشرة والنور

الأول).

٢٣- إثبات مراتب للأولياء فوق الملائكة والأنبياء.

- ٢٤- ادعاء أن الله لا يُعبد خوفاً ولا رجاءً وإنما بالحب وحده.
- ٢٥- اعتقاد أن الولي يملك الضر والنفع استقلالاً.
- ٢٦- إحياء فكرة الحلول في الأشخاص مثل الحلاج وابن عربي.

❏ ثانياً: في العبادات:

- ١- الذكر الجماعي المبتدع على هيئة الرقص أو التمايل أو بصوت واحد.
- ٢- الأوراد المخترعة المخالفة لأذكار الكتاب والسنة.
- ٣- الخلوة الأربيعينية التي يتركون فيها الجمعة والجماعة ويخالفون بها

هدي النبي ﷺ.

- ٤- الاحتفال بالمولد النبوي وغيره من المواسم البدعية.
- ٥- اتخاذ الشيوخ وسطاء في كل عبادة ودعاء حتى صاروا أوثاناً تُعبد من دون الله.
- ٦- الاعتماد على الكرامات المزعومة واعتبارها دليلاً على الولاية والصلاح.
- ٧- التعبد بالأشعار والقصائد مثل البردة وغيرها التي فيها غلو في الرسول

ﷺ.

- ٨- الإعراض عن العلم الشرعي والاكتفاء بالكشف والذوق والإلهام.

- ٩- ادعاء العصمة لبعض شيوخهم وأنهم لا يخطئون ولا يسألون عما يفعلون.
- ١٠- تقديس القبور ببناء المساجد عليها، وإيقاد السرج والشموع عندها.
- ١١- التعبد بالرقص والسماع وجعل ذلك قرينة إلى الله.
- ١٢- اتخاذ الموسيقى والدفوف وسيلة للذكر.
- ١٣- الدوران حول القبور على هيئة الطواف بالكعبة.
- ١٤- تكرار الأسماء المفردة (الله، هو، حي) بطريقة مبتدعة.
- ١٥- إحداث صيغ مبتدعة للصلاة على النبي ﷺ لم ترد في السنة.
- ١٦- الاحتفال بذكرى وفاة الشيوخ (الموالد) وجعلها عيداً دينياً.
- ١٧- التعبد بالخلوة في المقابر والخرائب طلباً للكشف والولاية.
- ١٨- الذكر بالرقص والصفير (وهو مشابه لعبادة الجاهلية).
- ١٩- صوم المرید عن الكلام أياماً طويلة بدعة.
- ٢٠- تقديم زيارة الشيخ على الحج عند بعض طرقهم.
- ٢١- النذر للأولياء والأضرحة.
- ٢٢- الذبح عند القباب تقريباً لأصحابها والتبرك ببصاق الولي وعرقه بل عند غلاة الصوفية الكبار يتبركون حتى بفضلات شيخ الطريقة.
- ٢٣- اتخاذ الخرق والعمائم علامة للولاء للطريقة.

٢٤- السجود لشييوخهم بدعوى الاحترام.

٢٥- التحليق في حلقات الذكر على هيئة الطواف أو الدوران.

❖ ثالثاً: في السلوك والتربية:

١- التسليم المطلق للشيخ واعتباره معصوماً لا يُردّ قوله.

٢- قطع صلة المرید بأهله وأصحابه بزعم التربية الروحية.

٣- الانغماس في الكسل وترك العمل بحجة التوكل.

٤- الرياء والتفاخر باللباس والهيئة المميزة عن عامة الناس (المسبحة

الكبيرة، الخرقه).

٥- إحياء العصبية الطرقية والتنازع بين الطرق الصوفية.

٦- إدخال الرياضات الهندية والبوذية (الجوع الشديد، النوم القليل، العزلة

الطويلة).

٧- تعذيب الجسد بالمشي على النار أو ضرب البدن في الحضرات.

٨- الإباحية الروحية عند بعضهم: إسقاط الحلال والحرام عن الولي.

٩- إغراق المریدين في الأوهام بكرامات مكذوبة.

١٠- الاعتماد على المنامات والرؤى مصدراً للتشريع.

١١- الغلو في الحب حتى يسقط التكليف بزعم أن المحب لا يُحاسب.

١٢- التفريق بين الناس بتقسيمه. إلى مریدين وخواص وعوام.

١٣- إحياء العصبية للشيخ والطريقة حتى قدّموا الولاء لها على الولاء لله ورسوله.

وهذه التي ذكرته إنما هو غيظٌ من فيض، ونزر يسير من بحر زاخر، وإلّا فإن انحرافات الصوفية في العقائد والعبادات والسلوك أكثر من أن تُحصى، وأعظم من أن تُستقصى. لكنني اكتفيت بما سبق تنبيهًا على أخطرها وأظهرها، وإيجازًا للاختصار، وإلا فلو بُسط القول لطل المقام، وامتد الكلام. والمقصود التحذير منها، وبيان مخالفتها للكتاب والسنة، ولما كان عليه سلف الأمة.

من أراد الرجوع فكتب العلماء في الباب كثيرة جدا.



التحديات التي تواجه الداعي إلى الله



لا يخفى على شريف علمك، أيها الداعية، أن الدعوة إلى الله رسالة عظيمة تتطلب علمًا وصبراً وحكمة، وخاصة في البيئات التي يغلب عليها تقليد معين أو موروث بدعي متجذر.

فالداعية لا يقتصر دوره على تعليم الناس الأحكام الشرعية، بل يمتد إلى تصحيح المفاهيم، وتوضيح الطريق المستقيم، ومراعاة طبيعة المجتمع وعاداته.

والنجاح في هذا الطريق يحتاج إلى التوازن بين الرحمة واللين في التعامل مع الناس، والحزم والوضوح في بيان الحق.

فالداعية الفطن هو من يعرف متى يحاور ومتى يوعظ، ومتى يبتعد عن المواجهة المباشرة، ليترك أثرًا إيجابيًا يمتد مع الزمن.

❁ **ومن أبرز ما يواجهه الداعية:**

١- العقائد والأفكار المتجذرة:

رسوخ الموروثات الصوفية في قلوب الناس عبر أجيال طويلة.

وتعلق الناس بالمشايخ والأضرحة والموالد، حتى صارت عندهم جزءًا من

الدين، فيصعب عليهم تقبّل أي نقد أو إنكار لهذه الممارسات لأنها مرتبطة عندهم بالبركة والعبادة.

٢- القداسة الممنوحة للمشايخ:

فكثير من الأتباع يعتقدون العصمة لمشايخ الطرق أو يرونهم واسطة بينهم وبين الله.

فأي دعوة لاتباع السنة وترك البدع تُفهم على أنها انتقاص من مكانة الشيخ، فيقولون: "كيف علمتها وفهمتها ولم يفهمها الشيخ بفهمك؟"

٣- الجهل المتوارث:

ضعف العلم الشرعي وانتشار الأمية يجعل الناس أسرع في قبول الخرافات والعقائد الباطلة.

٤- مقاومة أصحاب المصالح:

بعض القائمين على الزوايا والموالد لهم مكاسب مادية واجتماعية، وقد يعادون الدعاة بشدة حفاظاً على مكانتهم ومصادر دخلهم.

فسدنة الأضرحة وزعماء الطرق الصوفية يهاجمون دعاة التوحيد يزعمون أنهم يقطعون أرزاقهم ومصالحهم، وينزعون مكانتهم من قلوب العامة، فيرمونهم بأبشع التهم ويكذبون عليهم ويفترون.

فالداعية المُحنك يتعامل بحكمة بالغة.

٥- البيئة الاجتماعية والثقافية:

يعتقد البعض من الصوفية أن أي دعوة للإصلاح تُعتبر تهديدًا للهوية الثقافية «بزعمهم» أو قطعًا للعادات المتوارثة.

٦- الأسلوب الخطابي:

بعض الدعاة قد يستعمل أسلوبًا شديدًا أو مواجهة مباشرة تؤدي إلى نفور الناس بدل جذبهم، فنحن بحاجة إلى أسلوب حكيم يجمع بين اللين والبيان الشرعي وسيأتي معنا تفصيل هذا إن شاء الله .

٧- قلة الدعم والمؤازرة:

قد يكون الداعية غريبًا في تلك البيئة بلا نصير ولا معين، مع قلة المؤسسات أو المراكز التي تُعين على نشر العلم الصحيح، بل انعدامها في بعض المناطق. وهذا تحدٍ كبير وثقيل للداعية، فلا يصمد فيه إلا الخُص من الدعاة.

٨- الفتن والابتلاءات:

احتمال تعرض الداعية للأذى اللفظي أو حتى الجسدي «وقد حصل». أما الأذى اللفظي، فحدث ولا حرج؛ فلا يترك الصوفية مجلسًا من المجالس إلا وحذروا من هذا الداعية ورموه بأبشع التهم، من التشويه والافتراء عليه بأنه "يُغض الأولياء" أو "يُفرِّق المجتمع" أو يسب النبي ﷺ،... الخ.

٩- تصديق الخرافات:

شدة انبهار الناس بالقصص والخوارق المنسوبة للمشايخ.
تقديم الكرامة المزعومة على النص الشرعي وانتشار القصص الخرافية
الشيطانية مثل انتشار النار في الهشيم.

١٠- تعظيم البدع التعبدية.

كالأذكار الجماعية المخترعة، والرقص الصوفي، والأوراد الخاصة، حتى
صارت شعائر لا يُتصور عندهم الدين إلا بها.

١١- تقديم الحكايات والقصص على النصوص الشرعية.

وكثرة الحكايات الموضوعية عن "الأولياء" التي تغرس في قلوب العامة
هيبة وخوف شديد من السادة والمشايخ بل قد يدعي بعضهم علم الغيب .
هذه القصص أحياناً تغني عن الحجة الشرعية عند الناس.

١٢- ضعف التمييز بين السنة والبدعة.

كثير من العوام لا يعرفون الفروق الدقيقة بين المشروع والمبتدع.

إذا أنكرت عليهم ظنوا أنك تمنعهم من "ذكر الله" أو "محبة النبي ﷺ"

وهذا ما زرع في قلوبهم فمئذ نعومة أظفارهم وهم يتلقون سب أهل السنة أهل
التوحيد وينبزونهم بالوهابية.

١٣- التوظيف السياسي والاجتماعي للصوفية.

بعض الأنظمة أو الجماعات تستعمل الصوفية أداة لكسب ولاء الناس أو مواجهة خصومهم وهذا كثير في التاريخ كثير جدا.

١٤- الانقسام الداخلي بين الدعاة.

اختلاف بعض دعاة التوحيد في الأسلوب: هل يكون بالرفق الشديد أم بالإنكار الصريح؟

هذا الاختلاف قد يستغله أهل البدعة للطعن في الدعاة أنفسهم.

١٥- طول الطريق الإصلاحية.

التغيير في المجتمعات الصوفية يحتاج وقتاً طويلاً وصبراً؛ لأن العادات متجذرة.

استعجال النتائج قد يسبب الإحباط أو الفشل فالبعض من إخواننا ينزل دعوة اسبوع أو شهر فيستعجل النتيجة فحين يرى الثمرة ضعيفة أو شبه معدومة ربما هزمه اليأس وترك الدعوة.

١٦- تلبية الرغبات.

التصوف غالباً يلبي رغبات الناس، كسل وخمول، وأكل، ورقص وأغاني والعجيب أنهم يتعبدون لله بهذه الأشياء.

فعندما يأتي السلفي ويحارب هذه العادات الدخيلة الخبيثة التي تُنسب إلى

الدين ينفرون منه.

١٧- قلة القدوات العلمية في البيئة نفسها.

الناس لا يرون نموذجًا حيًا من العلماء الراسخين في العلم الشرعي ليقتدوا

به.

بينما يجدون أمامهم "الشيخ الصوفي" حاضرًا بينهم في كل مناسبة.

بل تلك المناطق تعاني من قلة دعاة التوحيد فضلًا عن العلماء .

١٨- التشويه الإعلامي والفكري.

تصوير الدعاة على أنهم "متشددون" أو "وهاية" أو "أعداء الأولياء".

مما ينقّر الناس منهم قبل حتى أن يسمعوا كلامهم.

وهذا الباب يبذل فيه أموال كثيرة ويُسخّر له من الإعلاميين والمشهورين

والمفكرين كلهم يُشوهون بالسلفيين بدعاة التوحيد ويرمونهم بأبشع التهم.

حتى أنه من خبثهم وسوء طويتهم

يجعلون الحق باطلا سمعت بعضهم يقول « كنا في خير عندما كنا نسوي

الحضرات والموالد عن القباب ولما جاء الوهابية توقف الخير وانعدمت

البركة في...».

انظر إلى الخبث والمكر كيف يربط ويعلق قلوب العامة بالأضرحة بل قال

المغيلي القبوري الخبيث الجزائري «إن ما يجري في غزة بسبب عدم التبرك

بالقبور».

نعم قالها قاتله الله وأخزاه وأذله.

لا يقولون بسبب الذنوب بسبب الشرك، بسبب ترك الصلاة بسبب تمزق الأمة وتفرقتها بسبب اليهود والنصارى والمجوس.

١٩- ضعف الموارد الدعوية.

قلة الكتب المبسطة أو المواد السمعية والمرئية التي تشرح العقيدة الصحيحة بلغة يفهمها العوام وهذا ما يعاني منه كثير من دعاة التوحيد قلة الكتب، قلة ذات اليد.

ضعف المناهج التعليمية في المدارس النظامية وقلة اهتمامها بالتوحيد وعنايتها به وخاصة توحيد العبادة.

٢٠- ارتباط البدعة بالهوية العائلية:

في كثير من البيئات، تتحول البدع والممارسات الصوفية إلى جزء من هوية الأسرة أو العشيرة، حتى يُنظر إليها كإرث لا يجوز التفريط فيه. فبعض العائلات تنتسب إلى طريقة صوفية معينة، ويُعدّ الخروج عنها خيانة للأسرة أو استخفافاً بمقام الآباء والأجداد. وهذا الارتباط يجعل الفرد أسيراً لضغط الانتماء العائلي، فيصعب عليه الاستجابة لدعوة الحق خشية أن يُوصم بالعار أو يُتهم بعقوق والده أو بمخالفة قومه. ومثل هذا يُشبه ما يقع في الحزبيات، إذ

إذا التزمت الأسرة كلها بحزبٍ معين، ثم تخلى عنه أحد أفرادها عدًّا شاذًّا ومنبوذًا بينهم.

٢١- استخدام التخويف الروحي.

تخويف الأتباع من مخالفة الشيخ أو ترك الطريقة بأن ذلك يجلب "سوء الخاتمة" أو "حرمان البركة".

هذا يوّلّد رهبة عند الناس من ترك الباطل واستخدام السحر في ذلك.

٢٢- استغلال الجهل بالقرآن والسنة.

قلة الحفظ والفهم للنصوص الشرعية تجعل الناس أسرع في تقبل التأويلات الباطلة.

فإذا جاء الداعية بالآية أو الحديث، قالوا: "الشيخ أولى بفهمها".

٢٣- انغلاق المجتمعات الصوفية.

بعض البيئات الصوفية شبه مغلقة، تسيطر عليها الزوايا والأضرحة.

يصعب على الداعية الوصول إليهم أو الاختلاط بهم إلا بقدر محدود، وكثير منهم يمنع الدعاة من دخول بلدانهم بحجة أنه داعية فرقة وفتنة وهكذا ينغلقون بالناس ويثبتون أفكارهم فيهم.

٢٤- ضعف الصبر عند بعض الدعاة.

شدة مقاومة الناس قد تؤدي ببعض الدعاة إلى الملل أو ترك الميدان.

والنجاح هناك يحتاج نفسًا طويلًا.

٢٥- تضخيم جانب "المحبة" على حساب "الاتباع".

أهل التصوف غالبًا يتكلمون عن محبة الله ورسوله ﷺ، لكن بلا التزام حقيقي بالاتباع.

فإذا دعاهم الداعية للاتباع اعتبروه "يحجبهم عن المحبة والذوق".

فمحبة النبي ﷺ تكون باتباعه والعمل بما جاء به

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١]

٢٦- التأويل الباطني.

بعض الطرق الصوفية لا تأخذ القرآن والحديث على معانيهما الواضحة التي يفهمها المسلمون جميعًا، بل تفسر النصوص بتفسيرات رمزية خفية، بعيدة عن ظاهر الكلام. فيجعلون لكل آية أو حديث معنى خاصًا لا يفهمه إلا شيوخهم بزعمهم. وهذا المسلك يُبعد الناس عن الفهم الصحيح للكتاب والسنة، ويجعلهم يتبعون أقوال الشيوخ بدلًا من كلام الله ورسوله ﷺ.

٢٧- رفضهم للحوارات.

من أبرز العوائق أن كثيرًا من أتباع الطرق الصوفية لا يقبلون أصلًا الدخول في نقاش علمي أو حوار هادئ، بل يعدّون مجرد محاورة الداعية تعديًا على

مقام شيخهم وانتقاصاً من مكانته. وهذا الرفض يكشف في الحقيقة عن ضعف حججهم، وبطلان ما يعتمدون عليه من اعتقادات، إذ إن الحق لا يخشى النقاش، وإنما الذي يهرب من الحوار هو صاحب الباطل.

٢٨- الانعزال عن العلم الشرعي.

من أبرز مظاهر الانحراف عند بعض المتصوفة أنهم يزهدون في دراسة العلم الشرعي والفقه، ويصفونها بأنها مجرد "قشور"، في مقابل ما يسمونه "علوم القلوب". وهذا الموقف يجعلهم بعيدين عن نور الوحي، ويجعل الحوار معهم عسيراً، إذ لا يقيمون وزناً للدليل من الكتاب والسنة، ويكتفون بما يزعمونه من ذوق أو كشف ويعتمدون على الفلسفة والمنطق ويقدمونها على النص.

٢٩- انتشار البدع في العبادات الجماعية.

مثل حلقات الذكر المبتدعة والأكل والشرب والراحة فيها والقصائد الشركية والبدع والخرافات وتقبيل ركب السادة والتبرك بأثارهم.

٣٠- تعظيم المنامات والرؤى.

اعتمادهم على الأحلام والمنامات في إثبات العقائد والأحكام، حتى لو خالفت الشرع وهذا مشهور ومعروف عنهم.

٣١- إضعاف الداعية ومحاربتة.

لا يقتصر بعضهم في مواجهة الداعية على تشويه سمعته أو إيذائه بالقول

والفعل، بل قد يتجاوزون ذلك إلى احتقاره أمام الناس، والتضييق عليه في دعوته، بل وربما يلجأون إلى السحر وألوان الأذى النفسي والجسدي له ولمن يتبعه. والغاية من ذلك إقناع الناس بأن من يترك التصوف يصيبه البلاء والجنون، ليخيفوا الأتباع من مجرد التفكير في مفارقتهم.

٣٢- الانبهار بالرموز التاريخية.

كثير من أتباع الطرق يكثرون الاستشهاد بأقوال رجال التصوف الأوائل، حتى وإن لم تكن ثابتة أو كانت مخالفة لما جاء في القرآن والسنة. بل إنهم يرفعون أقوال مشايخهم إلى منزلة التقديس، ويتمسكون بها أشد من تمسكهم بالنصوص الشرعية.

ولو استمعت إلى كثير مما يُروى وينقل عنهم لتعجبت من غرابته، ومع ذلك يُظهرونه ويُكرِّرونه وكأنه وحي لا يُرد.

٣٣- توارث الطرق كالميراث.

الطريقة تنتقل من الآباء للأبناء، فتكون جزءاً من الهوية العائلية، وصعب التخلي عنها.

٣٤- صعوبة التمييز بين الصوفية والزهد المشروع.

الناس يخلطون بين "الزهد المشروع" و"التصوف المبتدع"، فإذا أنكرت التصوف، ظنوا أنك تعيب الزهد والورع وأنك من أهل الدنيا مع أن أكثرهم

يدعي الزهد وهو منغمس في ملذات الحياة.

٣٥- احتكار تفسير القرآن الكريم.

يعمد شيوخ الطرق إلى تصوير أنفسهم بأنهم وحدهم الممنوحون بالتفسير فيجعلون أتباعهم يعتقدون أن فهم القرآن لا يُنال إلا من خلالهم، وأن معانيه الباطنة لا تُكشف إلا على أيديهم.

وبذلك يحتكرون تفسير كلام الله، ويزرعون في النفوس أن مخالفتهم ليست مجرد رأي آخر، بل حرمان من الهداية، وانقطاع عن طريق الحق، وكأنهم أوصياء على رحمة الله وسبل الوصول إليه.

٣٦- التبرك بالقباب والقبور.

بعض الناس يربطون بركة حياتهم بزيارة القبور أو النذر عندها، مما يجعل أي دعوة لترك ذلك صعبة القبول.

ونحن لا نُحرِّم زيارة القبور الزيارة الشرعية كما يروج لذلك بعض الصوفية، بل ندعوهم إلى أن يعلّقوا قلوبهم بالله وحده، ويتركوا التبرك بالقباب والأضرحة، والتمسح بها، وطلب الحاجات منها، ورفعها والبناء عليها، أو إدخالها في المساجد.

٣٧- هيمنة الطقوس الاحتفالية.

تحوّلت الموالد والاحتفالات الصوفية إلى مهرجانات اجتماعية واقتصادية

ضخمة، يصعب المساس بها أو إنكارها، بعدما غلب عليها الطابع المادي. فهي لا تقتصر على الطقوس البدعية فحسب، بل أصبحت وسيلة لجمع الأموال، حيث يستغل القائمون عليها مشاعر الناس باسم البركة، ويستغلون التجار وأصحاب الحرف في تمويلها أو دفع مبالغ طائلة للمشاركة فيها. وبهذا غدت هذه المناسبات موردًا ماليًا مهمًا، أكثر من كونها شعائر تقرب العباد إلى الله فيستمتتون في الدفاع عنها.

٣٨- تمييع مسائل التوحيد.

يسعى بعض شيوخ الطرق إلى تمييع قضايا التوحيد، فيعتبرون الممارسات الشركية مجرد "وسائل للتقرب إلى الله"، وليست مناقضة للتوحيد. ومن ثم يفرغون دعوة الدعاة من مضمونها، ويجعلون التوحيد عندهم محصورًا في توحيد الربوبية فقط؛ أي الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، وهذا أمر قد أقرَّ به حتى مشركو قريش، ولم يدخلوا به في الإسلام. إنما جاء الرسول ﷺ يدعوهم إلى توحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة وصرفها له وحده دون سواه. غير أن هؤلاء يصرفون الناس عن هذا الأصل العظيم، ويستبدلونه بأقوال عامة لا تغيّر من الواقع شيئًا، بل تُبقي الأتباع في نفس الممارسات المخالفة لدين الله.

٣٩- انتشار الكتب الضعيفة والموضوعات.

انتشرت بين أتباع الطرق كتبٌ مليئة بالأحاديث الموضوعية والقصص الخرافية، تربت عليها أجيال كاملة حتى صارت جزءاً من ثقافتهم. ولا يقتصر الأمر على مجرد وجود هذه الكتب، بل يُسعى لنشرها وتوزيعها في أماكنهم، وأحياناً تُطبع وتوزع مجاناً لتصل إلى أكبر عدد ممكن من الناس. بل إن كثيراً من مؤلفات مشايخهم لا تكاد تخلو من دسّ الخرافات والأساطير، حتى لو كانت كتباً في الفقه أو السلوك واللغة، فيحرصون على تمرير هذه الأفكار داخلها، فتغدو كتبهم مملوءة بما يلبس على القارئ دينه، ويُشوِّش على عقيدته.

٤٠- قلة التفرقة بين الدين والعادة.

بعض البدع والتصوف التصقت بالعادات الشعبية (كالمدائح والأهازيج)، فصار الناس لا يفرقون بين العادة والدين صار كثير منهم يعتبرها عبادة يُثاب عليها.

٤١- مقاومة التغيير خوفاً من الفراغ الروحي.

يخاف الناس أن تركهم للتصوف سيجعلهم بلا "روحانية"، لظنهم أن الدين بلا طرق صوفية جاف وقاسٍ وهذا ما يزرعه فيهم ساداتهم.

٤٢- استعمال السحر والشعوذة.

في كثير من البيئات الصوفية يختلط الدين بأعمال الدجل والشعوذة، ويُزَيَّن ذلك للناس تحت مسمّى "البركة" أو "الكشف"، مما يجعل مهمة الداعية في تصحيح المفاهيم أكثر تعقيدًا.

وتجد بينهم شيوع التمايم والأحجبة، والحروز والعزائم، والذهاب إلى السحرة والمشعوذين طلبًا للشفاء أو جلب النفع أو دفع الضرر.

بل قد تُقام طقوس غريبة وحضرات مصطنعة يُدعى فيها استحضار الأرواح أو مخاطبة الأولياء، وكلها من البدع والشركيات التي تُضعف التوحيد وتفتح الباب على مصراعيه للانحراف والخرافة.

والأسوأ أن هذه الممارسات تُغلف بثوب الدين، فيُخدع بها البسطاء ويظنونها من القربات، بينما حقيقتها تضييع للعقيدة وانشغال بغير الله.

٤٣- جذب الشباب.

يجذب التصوف كثيرًا من الشباب بوسائل عدة، كالأناشيد والاحتفالات البدعية، إضافة إلى فتاوى بعض الصوفية التي تبيح ما حرمه الشرع، مثل سماع الأغاني أو بعض التسهيلات في المعاملات الدنيوية.

فهذه التسهيلات تُقدم على أنها جزء من الروحانية، لكنها في الواقع وسيلة لاستقطاب الشباب وإغوائهم، وجعلهم أكثر انحرافًا في الممارسات التي

تُبعدهم عن التوحيد الصحيح وحقائق الدين.

٤٤- ربطهم التصوف ببعض الأئمة من السلف.

٤٥- النفخ الإعلامي لرموزهم واستغلال وسائل التواصل الاجتماعي لبث

سمومهم وأفكارهم الخبيثة.

٤٦- غلبة العاطفة على العقل بعض الناس، يتأثرون بالقصائد والإنشاد

والبكاء أكثر من الأدلة العلمية والشرعية.

٤٧- ضعف التكوين العلمي عند بعض الدعاة.

فيصعب عليهم مواجهة الشبهات الصوفية أو الرد على تأويلاتهم الباطلة.

٤٨- ربط الدين بالأولياء بدل القرآن والسنة.

العوام لا يعرفون الدين إلا من خلال "أقوال وكرامات الشيخ"، فيصعب

عليهم تصور الإسلام بلا شيخ لأن هذا مزروع في قلوبهم.

٤٩- الانغلاق داخل الطريقة.

أتباع بعض الطرق لا يحضرون دروسًا أو محاضرات خارج زواياهم، فيبقى

تأثير الدعاة عليهم محدودًا.

٥٠- تضخيم مفهوم "التسامح".

بعض الصوفية يرفعون شعار التسامح ليبرروا قبول كل العقائد والأديان،

مما يصعب تصحيح العقيدة عندهم.

٥١- الخوف من القطيعة الاجتماعية.

من يترك التصوف يُحاصر اجتماعيًا من عائلته وجماعته، فيضعف عن اتباع الحق.

٥٢- تقديس السلاسل والإجازات.

كثير من الناس يرون أن الدين لا يُؤخذ إلا عن "سلسلة الطريقة"، فيرون الداعية الغريب غير معتبر.

٥٣- الغلو في مفهوم "التجربة الشخصية".

بعضهم يرى أن "ما ذاقه في قلبه" حجة أقوى من النصوص الشرعية.

٥٤- تضارب المناهج التربوية.

الداعية يدعو إلى التزكية بضوابط القرآن والسنة، بينما هم يربون على "الخلوة" و"المجاهدات المبتدعة".



التوجيهات العملية للدعاة في التعامل مع بيئات التصوف

إن الدعوة إلى الله في البيئات التي يغلب عليها التصوف تحتاج إلى بصيرة نافذة، وصبر طويل، وحكمة راسخة؛ لأن الخطاب فيها يوجه إلى قلوب امتلأت بتقاليد وموروثات قديمة، قد يختلط فيها الحق بالباطل، والسنة بالبدعة. فالداعية ليس مجرد ناقل للأحكام، بل هو طبيب يعالج، ومعلم يوضح، ومرّب يفتح مغاليق العقول والقلوب برفق ولين.

وكلما ازداد الداعية فهماً لواقع هذه البيئات، وصدقاً في النية، وحرصاً على إيصال الحق بالتي هي أحسن، كان أثره أعمق، وثمرته أوفى. ومن هنا تأتي أهمية التوجيهات العملية التي تُعين الداعية على حسن التعامل مع هذه البيئات، حتى يبلغ دعوته بأمانة وحكمة وإليك بعض التوجيهات المختصرة في الباب:

١- العلم بما يدعو إليه؛ فالجاهل لا يصلح أن يكون داعية. قال تعالى: ﴿قُلْ

هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٧٨)

[يوسف: ١٧٨].

والبصيرة هي العلم، إذ إن الداعية سيواجه دعاة ضلال عندهم علمٌ وشبهات، فلا بد أن يكون مؤهلاً ليدحض شبهاتهم بالحجة والبرهان. أما إذا

خرج إلى الدعوة بلا علم، فقد يُهزم في النقاش، وربما يترك الدعوة بالكلية، بل قد يصبح عدواً لها إذا ابتلي بتلك الشبهات.

وقد وقع في هذا المنكر -أعني الدعوة إلى الله بغير علم- جماعة التبليغ، الملقَّبون بـ«الأحباب»، إذ وجدتُ بعضهم قد خرج إلى الدعوة في أفريقيا، ودول آسيا، وعدة بلدان عربية، فإذا بي أفاجأ أنه لا يحفظ حتى جزءاً من القرآن، ولا يعرف حفظ التحيات في الصلاة! وهذا أمرٌ مشهور في أوساط هذه الجماعة الصوفية النقشبندية.

فعلى الداعية أن يتحلَّى بالعلم، ولا سيما علم التوحيد والاعتقاد، فيشره ويدعو إليه، ولهذا لما بعث النبي ﷺ معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن، قال: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» (متفق عليه).

وقوله ﷺ: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب» أي عندهم علم وشبهات، فمخاطبة العالم ومن عنده شبهة ليست كمخاطبة الجاهل؛ ولذلك نبّه النبي ﷺ معاذاً رضي الله عنه على هذا الأمر.

٢- أن يكون الداعية قدوةً حسنةً، عاملاً بما يدعو إليه؛ فإن الناس ينظرون إلى عمله والتزامه قبل أن يصغوا إلى أقواله، فلا بد أن تصدق أقواله أفعاله.

قال الله تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَنْفَوِرُ أَرْءَايَشْرِمُ إِنَّكَ تُعَلِّمُونَ النَّاسَ مَا لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ يَعْلَمُونَ﴾ [هود: ٨٨].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلرَّبِّ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢].

وقال أيضاً: ﴿اتَّأَمَّرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

[البقرة: ٤٤].

وقال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ: «وليس يُعَدُّ عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً، والعلم يراد للعمل كما يراد للعمل للنجاة؛ فإن كان العمل قاصراً عن العلم كان العلم كلاً على العالم، ونعوذ بالله من علمٍ عاد كلاً، وأورث ذُلًّا، وصار في رقبة صاحبه غُلًّا»^(١).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ في صيد الخاطر (ص: ١٥٩) كلاماً نفيساً، خلاصته:
«أن العالم غير العامل لا ينال لذة الدنيا ولا لذة الآخرة».

(١) «اقتضاء العلم العمل»، (ص: ١٤).

والآثار في هذا الباب كثيرة جدًّا، وقد أفرد العلماء مؤلفات مستقلة في بيان وجوب العمل بالعلم، وذمّ العالم الذي يخالف قوله فعله.

٣- البداءة بالأهم فالأهم، بأن يدعو أولاً إلى إصلاح العقيدة، بالأمر بإخلاص العبادة لله والنهي عن الشرك، ثم الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الواجبات وترك المحرّمات، كما هي طريقة الرسل جميعاً، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وغير ذلك من الآيات في هذا الباب.

ولما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله» وقد سبق ذكر الحديث. وفي طريقته ﷺ في الدعوة خير قدوة وأكمل منهج؛ حيث مكث ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك، قبل أن يأمرهم بالصلاة والزكاة والصوم والحج، وقبل أن ينهاهم عن الربا والزنا والسرقة وقتل النفوس بغير الحق.

فالداعية إلى الله يبدأ بالأهم فالأهم.

٤- الإخلاص لله تعالى من أهم الأمور؛ فإذا أخلص العبد يسّر الله له أمره، وفتح له قلوب العباد، واستجاب له الناس ولو بعد حين. والإخلاص في هذا

الباب أن تكون الدعوة لوجه الله وحده، لا يشوبها رياء ولا سُمعة، ولا ترفع ولا رياسة، ولا طمع من مطامع الدنيا؛ لأنها إذا دخلها شيء من تلك المقاصد لم تكن دعوة لله، وإنما هي دعوة للنفس أو للطمع المقصود.

وقد أخبر الله عن أنبيائه أنهم كانوا يقولون لأقوامهم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ [هود: ٢٩]، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

قال البقاعي رَحِمَهُ اللهُ: «هذه الآية من أعظم الدلائل على أن المطلوب من أعمال الظاهر رعاية أحوال القلب في إخلاص النية، وتصفية الداعية عن الالتفات إلى غرض دنيوي، فإن كان رياء انقلبت فصارت من أعظم المفساد»^(١).

٥- الصبر:

على ما يلاقيه الداعية في سبيل الدعوة إلى الله من المشاق وما يواجهه من أذى الناس، فإن طريق الدعوة ليس مفروشا بالورود، وإنما هو محفوف بالمكاره والمخاطر.

وخير أسوة في ذلك هم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، فيما واجهوا من

(١) «نظم الدرر» (٥ / ٤١).

أقوامهم من الأذى والسخرية، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آسَنَّا نَزِيحًا يُرْسِلُ مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ
كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَآذُوا حَتَّىٰ أَنهَضْنَاهُمْ نَصْرًا﴾ [الأنعام: ٣٤].

وكذلك ينال أتباع الرسل من الأذى والمشاق بقدر ما يقومون به من الدعوة
إلى الله، اقتداءً بهؤلاء الرسل الكرام، عليهم من الله أفضل الصلوات وأزكى
السلام.

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يصبر ويحتسب الأجر، ويرحم الناس
ويشفق عليهم، ويحرص على إخراجهم من الظلمات إلى النور: من ظلمات
الشرك والبدع والخرافات إلى نور التوحيد والسنة. ولن يضيعه الله، وسيؤتيه
أجرًا عظيمًا.

فيجب على الداعية أن يكون صابراً على دعوته مستمراً فيها، صابراً على ما
يعترض دعوته أو ما يعترضه هو من الأذى؛ لأن الداعية يطلب من الناس أن
يتحرروا من شهواتهم ورغباتهم، وعادات أقوامهم وشركياتهم وخرافاتهم
وبدعهم، ويقفوا عند حدود الله تعالى في أوامره ونواهيه وأكثر الناس لا يؤمن
بهذا المنهج.

فلهذا يقاومون الدعوة بكل قوة، ويحاربون دعواتها بكل سلاح.
وعلى الداعية أيضاً أن يتأسى بالرسول الكرام الذين قص الله علينا أخبارهم،

وما حصل لهم من مشاق الدعوة ومتاعبها من إعراض الناس عن دعوتهم وأذيتهم بالقول والفعل مع طول الطريق واستبطاء النصر، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقد جعل الله تعالى العاقبة للمتقين، وكتب النصر لدعاة الحق، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكْمِلِينَ أَلَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلِهِمْ آيَةً وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ يَوْمٍ يَعِدُونَ وَنَحْنُ نَعْتَصِمُ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّا نَعْتَصِرُ مِنْ اللَّهِ قَرِيبٍ﴾ [البقرة: ٢١٤].

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «فلا بد للذي يقوم بهذه الدعوة أن يتعرض للأذى على حسب إيمانه ودعوته؛ ولكن عليه أن يصبر، ما دام أنه على حق فإنه يصبر ويتحمل فهو في سبيل الله وما يناله من الأذى فهو في كفة حسناته أجز من الله - سبحانه وتعالى»^(١).

٦- التحلي بالخلق الحسن:

على الداعية أن يكون متحلياً بالخلق الحسن، مستعملاً للحكمة في دعوته، لأن ذلك أدهى لقبول دعوته، كما أمر الله نبيه موسى وهارون عليهما السلام أن يستعملا ذلك في مواجهة أكثر أهل الأرض طغياناً، وهو فرعون الذي ادعى الربوبية، حيث قال الله لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (٢٨).

وقال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَنَخَسْتِي ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٧-١٩].

وقال تعالى في حق محمد ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ط وَوَكُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ ط لَا تَقْضُوا مِن حَوْلِكَ ط﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

وقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ط﴾ [النحل: ١٢٥].

فينبغي على الداعية إلى الله أن يتحلَّى بالأخلاق الحسنة من أجل أن يقبل الناس دعوته، ولأن الناس ينظرون إلى الأفعال غالباً قبل الأقوال.
فعليك -يا طالب العلم- بالتحلِّي بأخلاق الأنبياء والمرسلين، تلك الأخلاق التي أمر الله بها وحثَّ عليها نبيه ﷺ.

واحذر -أخي المبارك- أن يكون أهل البدع أكثر منك خُلُقًا وأحسن منك تعاملًا، وهم ينشرون سمومهم وبدعهم وخرافاتهم بين الناس، يتصنَّعون الأخلاق ويتكلفونها، فينجحون في ذلك، فيبثون الأدواء والآفات بين المسلمين. فاحذر -أيها الداعي إلى الله- أن تكون سيِّء الخُلُق.

قال أبو حاتم البستي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الواجب على العاقل أن يتحجب إلى الناس بلزوم حسن الخلق، لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس

الجليد، وإن الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»^(١).
 هذا الكلام النفيس يبيّن عِظَم أثر الأخلاق في حياة الإنسان، ولا سيما
 الداعية إلى الله. فالداعية وإن كان يحمل أشرف رسالة، ويدعو الناس إلى
 التوحيد الخالص وعبادة الله وحده، فإن سوء خُلُقِه قد يكون سببًا في نفور الناس
 عنه، وانصرافهم عن دعوته، فيُهدم بذلك ما بناه بعلمه وجهده. فكم من داعية
 هدم دعوته بفضاظته وغلظة طبعه، وكم من صاحب دعوة يسيرة بلغ بها القلوب
 بأخلاقه قبل أقواله. لذلك كان الخلق الحسن من أعظم أسباب القبول، كما قال
 بعض السلف: «إنما هي الأخلاق: يظهرها الله حيث يشاء، فإذا رضي الله عن
 عبد جعل حُسن خلقه سبيلًا إلى محبته وقبول دعوته».

٧- على الداعية أن يكون قويّ الأمل، وألا ييأس من تأثير دعوته وهداية
 الناس، وألا ييأس من نصر الله ومعونته له، ولو امتد الزمن وطال عليه الأمد.
 وله في ذلك خيرُ أسوة، وهم رسل الله قدوةً للناس. فهذا نبي الله نوح عليه
 السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله. وهذا نبينا
 محمد ﷺ لما اشتد عليه أذى الكفار وجاءه ملك الجبال يستأذنه أن يطبق
 عليهم الأخشيين، قال: «لا، بل أستأني بهم، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من

(١) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء»، أبو حاتم البستي (ص ٦٤).

يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً».

فمتى فقد الداعية هذه الصفة، فإنه سيقف في أول الطريق، ويبوء بالخيبة في عمله والندم. وأي دعوة لا تقوم على هذه الأسس، ولا يكون منهجها قائماً على منهج الرسل، فإنها ستبوء بالفشل وتضمحل، وتكون تعباً بلا فائدة. وخير دليل على ذلك تلك الجماعات المعاصرة التي اختطت لنفسها منهجاً في الدعوة يخالف منهج الأنبياء والرسل؛ إذ أغفلت هذه الجماعات - إلا ما ندر منها - جانب العقيدة والتوحيد، وصارت تدعو إلى إصلاح أمور جانية.

فجماعة تدعو إلى إصلاح الحكم والسياسة وتطالب بإقامة الحدود وتطبيق الشريعة في الحكم بين الناس، وهذا جانب مهم نعم، ولكنه ليس الأهم؛ إذ كيف يُطالب بتطبيق حكم الله على السارق والزاني قبل أن يُطالب بتطبيق حكم الله على المشرك؟ وكيف يُطالب بتطبيق حكم الله بين المتخاصمين في الشاة والبعير قبل أن يُطالب بتطبيق حكم الله على عبّاد الأوثان والقبور، وعلى الذين يُلحدون في أسماء الله وصفاته فيعطّلونها عن مدلولاتها ويحرفونها؟ أهؤلاء أشدّ جرماً، أم الذين يزنون ويشربون الخمر ويسرقون؟

إن هذه الجرائم إساءة في حق العباد، وأما الشرك ونفي الأسماء والصفات فإساءة في حق الخالق سبحانه وتعالى، وحق الخالق مقدّم على حق المخلوقين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب الاستقامة (١/٤٦٦): «فهذه الذنوب مع صحة التوحيد خير من فساد التوحيد مع هذه الذنوب». انتهى كلامه.

وهناك جماعة أخرى تتسبب إلى الدعوة لكنها تسير على منهج آخر يختلف عن منهج الرسل، فلا تُعير العقيدة أهمية، وإنما تهتم بجانب التعبد وممارسة بعض الأذكار على نهج الصوفية، ويركزون على الخروج والسياحة، ويهتمهم استقطاب الناس معهم دون نظر في عقائدهم. وهذه كلها طرق مبتدعة، تبدأ من حيث انتهت دعوة الرسل. وهي بمثابة من يُعالج جسداً مقطوع الرأس، لأن العقيدة من الدين بمنزلة الرأس من الجسد.

والمطلوب من هذه الجماعات أن تُصحح مفاهيمها بمراجعة الكتاب والسنة لمعرفة منهج السلف الصالح، منهج الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله؛ فإن الله سبحانه قد أخبر أن الحاكمة والسلطة - التي هي محور دعوة هذه الجماعة التي أشرنا إليها - لا تتحقق إلا بعد تصحيح العقيدة بعبادة الله وحده ونفي الشرك عما سواه، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

فهؤلاء يريدون قيام دولة إسلامية قبل تطهير البلاد من العقائد الوثنية المتمثلة في عبادة الموتى والتعلق بالأضرحة، بما لا يختلف عن عبادة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، بل يزيد عليها.

وإن تحكيم الشريعة، وإقامة الحدود، وقيام الدولة الإسلامية، واجتناب المحرمات، وفعل الواجبات، كل هذه الأمور من حقوق التوحيد ومكملاته، وهي تابعة له. فكيف يُعتنى بالتابع ويُهمل الأصل؟!

وإني أرى أن ما وقع لتلك الجماعات من مخالفة لمنهج الرسل في طريقة الدعوة إلى الله إنما نشأ من جهلهم بهذا المنهج. والجاهل لا يصلح أن يكون داعية، لأن من أهم شروط الدعوة العلم، كما سبق. قال تعالى عن نبيه ﷺ:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسَبَّحَنَّا اللَّهَ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨)

[يوسف: ١٠٨].

فأهم مؤهلات الداعية العلم، ثم إننا نرى هذه الجماعات المتسببة إلى الدعوة مختلفة فيما بينها، فكل جماعة تضع لنفسها خطة غير خطة الأخرى، وتتبع غير منهجها. وهذه نتيجة حتمية لمخالفة منهج الرسول ﷺ، فإن منهج الرسول واحد لا انقسام فيه ولا اختلاف، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ولما كان أمر هذه الجماعات المخالفة والمختلفة يشكل خطرًا على

الإسلام، وقد يصدّد عن الدخول فيه، كان لا بد من بيان ذلك، وبيان أنها ليست من الإسلام في شيء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ولأن الإسلام يدعو إلى الاجتماع على الحق، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] (١).

٨- الصدق والأمانة في شخصية الداعية:

من أعظم الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الداعية إلى الله صفة الصدق والأمانة، فهما أساس كل دعوة ناجحة، وعماد كل إصلاح مبارك. والصدق هو مطابقة القول للعمل، وهو الإخلاص لله جل وعلا في السر والعلن، والأمانة هي حفظ الحقوق وأداء الواجبات ورعاية ما استُحفظ عليه العبد من دين ودنيا.

فالصدق أول ما يكون مع الله عز وجل، بأن يُخلص الداعية نيته في دعوته، فلا يطلب بها سمعةً ولا رياءً ولا دنيا، وإنما يقصد وجه الله وحده. ثم يكون صادقاً مع الناس، في أقواله وأفعاله، لا يخدعهم ولا يكذب

(١) من كلام الشيخ صالح الفوزان منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله للشيخ ربيع المدخلي رحمه الله (ص ٢٠).

عليهم، ولا يفترى على مخالفه ولا ينسب إليه ما لم يقل أو يفعل.
بل يكون أميناً في النقل، منصفاً في الحكم، واضحاً في بيانه، صادقاً في
نصحه.

وهذا الخلق إذا استقر في قلب الداعية ظهرت آثاره في كلامه ودعوته، فكان
لكلامه وقع في القلوب، ولأفعاله برهان على صدق دعوته.
وكذلك الأمانة، فإنها قرينة الصدق، فالداعية أمين على ما يحمل من العلم،
أمين في تبليغ شريعة الله كما هي بلا زيادة ولا نقصان، أمين في معاملاته مع
الناس، أمين في وعوده، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾
[النساء: ٥٨]، وقد كان النبي ﷺ يلقب قبل البعثة بالصادق الأمين، فكان ذلك
أعظم أسباب قبول الناس لدعوته، حتى من ألد أعدائه.

وإذا تحلى الداعية بالصدق والأمانة، أثمر ذلك ثمرات عظيمة، منها: قبول
دعوته عند الناس، فإن القلوب مجبولة على تصديق الصادق ومتابعة الأمين.
الثبات على الطريق، لأن الصدق يورث طمأنينة القلب، ويقوي العزيمة
على مواجهة الابتلاءات.

النصر من الله، فإن الله ينصر من صدق في طلب الحق وأخلص له. قال
تعالى: ﴿فَلْتَوَكَّدُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

النجاة في الدنيا والآخرة، فقد قال النبي ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر،

وإن البر يهدي إلى الجنة»، وقال أيضًا: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك».

فالواجب على الداعية أن يربي نفسه على هاتين الصفتين العظيمتين، وأن يجاهدتها على التحلي بهما في السر والعلن، فإنهما زينة الداعية، وبهما يُعرف صدقه في حمل رسالة الأنبياء.

ومتى فقد الصدق أو ضيّع الأمانة، انهارت دعوته، وزهد الناس فيه، ولم يبارك الله في عمله.

أما إذا اتصف بهما، رفعه الله في الدنيا، وأثابه وأعظم الجزاء في الآخرة.

٨- تواضع الداعية:

والتواضع هو التذلل والتخاشع؛ فهو إذا الخشوع لله وخفض الجناح تذللًا للمؤمنين، ولين الجانب لعامة الناس، وقبول الحق ممن قاله أيًا كان، ونقيض التواضع الكبر، الذي هو بطر الحق وغمط الناس، والتواضع من الأخلاق الفاضلة، والصفات العالية؛ به يتحقق التآلف والود، ولا يعرف التواضع إلا من عرف ربه ونفسه^(١).

(١) «المعجم الوسيط» (ص ١٠٣٩)، الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، محمد سعيد

البارودي، دار الوفاء، جدة، ط١، ١٤٠٧هـ.

فالتعالى من الداعية يُبعد ما بينه وبين المدعوين؛ فقد جُبلت النفوس على بغض المتكبر والنفور منه، وما أصدق من شبه المتكبر برجل فوق قمة جبل عالٍ يرى الناس من تحته صغارًا كالنمل، وهم يرونه كذلك، وأن مثل المتواضع كمثل السنبلة المملوءة بالحب تتواضع وتحني رأسها؛ لما فيها من الخير والنفع، أما الفارغة الجوفاء فإنها تظل رافعة رأسها تتعالى على غيرها، وهي لا تصلح إلا للعلف^(١).

وقد كان النبي ﷺ حليماً متواضعاً بين أصحابه؛ يعمل في بيته، ويشارك أصحابه في أعمال كثيرة، ويجاهد معهم، ويسلم على صغيرهم، ويحنو على ضعيفهم، ويذكر أنه ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد^(٢).

وقال ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفَعَه»^(٣).

وذكر ابن كثير فضل التواضع وذم الكبر والمتكبرين، وعقد فصلاً عن

(١) الدعوة الإسلامية، أحمد غلوش (ص ٤٥٦)، دار الكتاب المصري، ط ٢، ١٤٠٧هـ

(٢) "المعجم الوسيط" (ص ٧١٨) في تعريف القديد.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، رقم:

التواضع، وذكر فيه بعض الآثار والمرويات راجعها^(١).

قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْخَشَعِينَ وَالْخَشَعَتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]:

«الخشوع السكون والطُّمأنينة، والتؤدة الوقار والتواضع، والحامل عليه الخوف

من الله ومراقبته»^(٢).

ويؤكد ابن كثير أن من صفات المؤمنين الكَمَل أن يكون أحدهم متواضعًا

لأخيه ووليّه، ومعتزًّا على خصمه وعدوّه^(٣).

وقال **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عند تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]: «أي سأمنع فهم الحجج والأدلة... كما استكبروا بغير حق

أذلّهم الله بالجهل»^(٤).

ومن الشواهد: ما جاء عن عائشة **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا** حين سألت عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ

أَوْزَنَّا الْكِنْدَبَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ

بِالْخَيْرَاتِ يَا ذَنْبَ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]، فقالت: «يا بُنَيَّ هؤلاء

(١) «تفسير القرآن العظيم»، (٣/ ٥٥٢).

(٢) «تفسير القرآن العظيم»، (٣/ ٦٠٠).

(٣) «تفسير القرآن العظيم»، (٢/ ٩١) عند تفسير آية (٥٤) من سورة المائدة.

(٤) «تفسير القرآن العظيم»، (٢/ ٣١١-٣١٢).

في الجنة... وأما الظالم لنفسه، فمثلي ومثلكم»، فجعلت نفسها مع عامة الناس تواضعًا^(١).

وكذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حين قرأ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦]، التفت إلى أصحابه وقال: «آثرنا الدنيا على الآخرة»، ثم علل ذلك بزيتها العاجلة، وكان هذا منه تواضعًا وهضمًا للنفس^(٢).

فالداعية إلى الله محتاج إلى التواضع؛ ليقرب من الناس وتثمر دعوته، وقد جسّد النبي صلّى الله عليه وآله ذلك أتمّ تجسيد^(٣).

٩- معرفة الواقع وأحوال الناس:

من التوجيهات المهمة للداعية أن يكون عارفًا بواقع الناس وما يحيط بهم من عادات وتقاليد ومؤثرات، لأن الخطاب المؤثر لا يكون مجردًا عن السياق، بل يُصاغ بما يناسب عقول المخاطبين وأحوالهم.

قال ابن القيم رحمه الله: «ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: أحدهما فهم الواقع والفقهاء فيه واستنباط علم

(١) «تفسير القرآن العظيم»، (٣/٦٨٢).

(٢) «تفسير القرآن العظيم»، (٤/٥٩٤).

(٣) «الدعوة الإسلامية»، أحمد غلوش (ص ٤٥٦).

حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات حتى يحيط به علمًا. والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله...»^(١).

١٠- التحدث بلسانهم:

خاصة كبار السن أنا أفضل الكلام معهم ودعوتهم بلهجتهم الدارجة يكون أقرب لفهمهم.

١١- التمييز بين الجاهل والمتعصب:

من فقه الداعية أن يفرّق بين الجاهل المقلّد الذي وقع في البدعة تقليدًا أو جهلاً، فهذا يُخاطَب باللين والبيان، وتُبدل له الحجة وتُصبر عليه، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

أما المتعصب المعاند لبدعته أو شيخه، فلا ينفع معه الجدل الطويل، بل يُكتفى ببيان الحق له ثم يُترك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨].

ولهذا كان السلف يرحمون الجاهل ويعلمونه، ويحذرون من صحبة المتعصبين حتى لا يُفسدوا على الناس دينهم، وهذه نقطة مهمة بعض الدعاة

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ٨٧).

يتعب نفسه بالجدال مع المتعصبين.

١٢- الاستفادة من الوسائل الحديثة:

من الحكمة في الدعوة أن يستعمل الداعية ما جدَّ من وسائل النشر والتواصل، كالكتب المطبوعة، والمطويات، والإذاعات، والقنوات، ومنصات الإنترنت ووسائل التواصل، فإنها أبواب واسعة لإيصال الحق إلى القلوب والعقول.

وقد قال النبي ﷺ: «بلغوا عني ولو آية» (البخاري)، وهذا البلاغ يتسع في عصرنا بالوسائل الحديثة أضعافاً مضاعفة، بحيث يصل صوت الداعية إلى آلاف بل ملايين لم يكن ليصل إليهم قديماً.

فالواجب أن تُسخر هذه الوسائل لنشر العلم الصحيح ومحاربة البدعة، مع مراعاة الحكمة في الخطاب، وانتقاء الأسلوب المناسب لكل منصة وجمهور يجعل مجموعة في الواسع ويضم فيها طلابه وأهل منطقتهم وينشر التوحيد فيها.. الخ.

١٣- الدعاء لهم بالصلاح لا سيما في أوقات الإجابة.

١٤- جذب الشخصيات المؤثرة كالوجهاء والأعيان وأصحاب الكلمة المسموعة، فهؤلاء إذا قُرَّبوا بالحسنى وكُسِّبوا بالرفق واللين، كانوا جسوراً للتأثير على عامة الناس، لأن الناس غالباً يتبعون من يثقون به ويجلُّونه.

والداعية حين يُحسن احتواء هذه الشخصيات وكسب قلوبهم، يوفر على نفسه جهداً كبيراً، إذ تصل الدعوة إلى الناس من خلالهم بقبول أوسع وأسرع وهذا مجرب وملحوظ .

١٥- التركيز على المشترك:

من أنجح أساليب الدعوة التركيز على المشتركات التي يتفق عليها الجميع، مثل محبة الله تعالى، ومحبة رسوله ﷺ، وتعظيم شأن العبادة والذكر، وحب الزهد في الدنيا.

فالداعية الحكيم لا يبدأ بذكر مواضع الخلاف التي قد تُنفر السامع، بل يدخل من الأبواب التي يجتمع فيها القلوب، ثم يبين بلطف أن هذه المعاني العظيمة لا تُقبل إلا إذا كانت على الطريقة الشرعية التي جاء بها الوحي.

فمثلاً: يقول للناس - بلسان جامع - : كلنا نحب الله ورسوله، ونحب الذكر والعبادة، لكن سعادتنا وكمالنا في أن يكون ذلك كما شرع الله ورسوله، لا بالطرق المحدثّة أو المخالفة.

فبهذا الأسلوب يفتح قلوبهم، ثم يُرشدهم إلى السنة دون أن يشعروا بالصدود أو العناد.

١٦- تقديم البديل المشروع إن وجد:

فعند التحذير من بدعة (كالأذكار الجماعية المبتدعة)، لا يكتفي بالمنع، بل

يُبيّن السنة الصحيحة في الذكر، ليجد الناس بديلاً نافعاً وهكذا.. الخ.

١٧- إظهار الاهتمام بأحوال الناس المعيشية:

فالناس لا يسمعون لمن يعرض عن واقعهم وحاجاتهم، فإذا رأوا من الداعية رحمة واهتماماً بأموالهم الدنيوية والدينية، انشرح صدرهم له يسأل عن حالهم يدعو لهم فهذا مما يسعدهم.

١٨- المداومة على الدعوة وعدم الانقطاع المفاجئ:

لأن بعض الدعاة يبدأ بحماس ثم يترك القوم، فيعودون لما كانوا عليه، أما المداومة فترسخ الحق.

١٩- القدرة على التفريق بين البدع المغلظة والبدع الأخف:

فلا يسوي بينها في الإنكار، بل يعطي كل ذنب أو خطأ قدره.

٢٠- الرجوع للعلماء في النوازل:

يجب على طالب العلم الرجوع للعلماء في النوازل وسؤالهم واستشارتهم .

٢١- نقل فتاوى كبار العلماء الثقات والاستدلال بها، بذلك يثق الناس .

٢٣- استضافة الدعاة وإلقاء الكلمات وإقامة الدروس والدورات .

٢٤- التركيز على الشباب والأطفال:

لأنهم أسرع إلى التغيير وأوسع أفقاً، فإذا صلحوا تبعهم غيرهم .

٢٥- عدم الاستعجال بالنتائج:

فالدعوة عملية تراكمية، قد يرى ثمارها بعد سنوات طويلة فلا تستعجل.

٢٦- مراعاة الفروق الفردية:

فما يصلح للعالم منهم لا يصلح للعامي، وما يقبل به الكبير قد لا يقبله الشاب، فينزل كلاً منزلته وهذا أمر مهم.

٢٧- استعمال الحكمة في العبارات:

مثل قول: «هذا عمل صالح لكنه يحتاج إلى تصحيح» بدل «هذا باطل أو هذا كفر إن اعتقده و..»، ليكون أطف على السامع.

٢٨- الاستفادة من كتب التراث المقبولة عندهم:

بانتقاء نصوص الأئمة الذين يجلبونهم (الشافعي ومالك والصوفية الأحناف تستدل لهم بكلام لأبي حنيفة وهكذا) مما يوافق السنة، فيكون أقرب لقبولهم. ويوجد مؤلفات يمكنك الاستفادة منها في اعتقاد الأئمة.

٢٩- الحرص على بناء العلاقات الاجتماعية:

بعبادة مريضهم، وحضور أفراحهم وأتراحهم، ليشعروا أن الداعية قريب منهم لا غريب عنهم.

٣٠- فتح باب الأسئلة والنقاش:

وعدم الاكتفاء بالمواعظ، بل يُتيح لهم السؤال عن قضاياهم ليكون التعليم نابغاً من حاجاتهم.

٣١- استغلال التجمعات واستعمال التواقيت المناسبة.

٣٢- إظهار الفرح بما أصابوا فيه من حق: فإذا رأى منهم اتباعاً للسنة في أمر، أثنى عليهم، ليحبوا الحق أكثر.

٣٣- تعليمهم قواعد عامة:

مثل: «كل عبادة لم يأت بها النبي ﷺ فهي مردودة»، ليصيروا بأنفسهم يميزون البدعة من السنة.

٣٤- إذا كنت في منطقة يغلب عليها الغلو الصوفي، حيث يُشوّه الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي ﷺ كما هي عادة كثير من غلاة الصوفية، فمن الحكمة في مثل هذه البيئات ألا تبدأ بقراءة كتب محمد بن عبد الوهاب ﷺ، بل يُقدّم للناس أولاً كتب السلف في التوحيد مما ليس له حساسية عندهم، حتى يتعلموا التوحيد وأصوله وعقائده واطمأنت نفوسهم إليه، عرفوا حينها قدر كتب الإمام محمد بن عبد الوهاب، وقبلوا الحق الذي فيها.

ومن أنفع الكتب التي يُقدّم بها في مثل هذه المواضيع:

كتب الأئمة المتقدمين في التوحيد:

كتاب التوحيد في صحيح البخاري (كتاب الإيمان وبدء الخلق وما جاء في دعاء النبي، وغيرها).

كتاب التوحيد للإمام ابن خزيمة ﷺ.

الرد على الجهمية للإمام أحمد.

السنة للخلال.

التوحيد لابن منده.

خلق أفعال العباد للبخاري.

الشرية للأجري.

الإبانة لابن بطة.

اعتقاد أهل السنة للالكائي.

كتب الأئمة المحققين من المتأخرين:

تطهير الاعتقاد للإمام الصنعاني.

الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني.

اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (في إبطال الشرك والقبوريات).

مدارج السالكين لابن القيم (في بيان توحيد العبادة).

فإذا قرأت هذه الكتب للناس وتبنوا أصول التوحيد من كلام السلف وأئمة

الإسلام، زال ما في نفوسهم من الشبهات، وأدركوا أن دعوة الإمام محمد بن

عبد الوهاب ليست شيئاً خارجاً عن منهج السلف، بل هي تجديد لما أندرس،

وإحياء لمن مات، وردُّ للغلو والانحراف.

وهذه من أعظم نقطة في هذا الكتاب يجب على الداعية المحنك التركيز

عليها



ثمرات الدعوة السلفية

إنَّ الدعوة السلفية دعوة ربانية مباركة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تستمد نورها من مشكاة النبوة، وتقوم على توحيد الله جل وعلا واتباع سنة نبيه ﷺ والسير على نهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام. فهي دعوة الإصلاح والتجديد، لا إلى دين جديد، وإنما إلى الأصل الأصيل الذي بعث الله به رسوله الأمين ﷺ: عبادة الله وحده بما شرع، والتمسك بسنته، واجتناب البدع والمحدثات.

وحيثما حطت هذه الدعوة رحالها، أزهرت القلوب بالإيمان، وأشرقت العقول باليقين، واندفعت النفوس من ظلمات الشرك والبدع والخرافات إلى نور التوحيد والسنة.

فإذا نزلت في المواطن التي يغلب عليها التصوف المنحرف والممارسات المبتدعة، ظهر أثرها وعظمت ثمرتها، إذ يرى الناس بأم أعينهم الفارق بين نور الوحي وظلمة التقليد، وبين صفاء التوحيد وكدر الشراكيات، وبين هدي السنة وغشاوة البدع.

فهي دعوة كالغيث إذا هطل على أرض ميتة فأحيهاها، أو كالريح الطيبة إذا

هبت على أرض جدباء فأخصبتها.

ومن ثمرات هذه الدعوة أنها تُحرّر القلوب من رقّ المخلوقين، فتقطع عُرى التعلق بالأضرحة والمشايخ، وتربط العباد بربهم ومولاهم، فيتوجهون إليه بالدعاء والاستغاثة، ويخلصون له العبادة، فتتحقق فيهم شهادة التوحيد واقعاً حياً في حياتهم.

ومن ثمراتها أنها تُحيي السنن التي درست وطُمت، وتعلّم الناس الهدى النبوي في عباداتهم وأذكارهم ومعاملاتهم، فينتقلون من طقوس مبتدعة لا دليل عليها إلى عبادة صحيحة زكية، يتقربون بها إلى الله كما شرع وكما أحب.

ومن ثمراتها نشر العلم الشرعي الصحيح، وربط الناس بالوحيين والدليل، وتعليمهم فهم السلف الصالح، فيرتفع عنهم غبار الجهل، وتنكشف لهم حقيقة الخرافة، ويظهر لهم أن الدين إنما يؤخذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا من المنامات ومشايخ الطرق.

ومن ثمراتها إصلاح الأخلاق والسلوك، إذ تغرس الدعوة في النفوس الصدق والإخلاص، والعدل والإنصاف، والتواضع وحسن المعاملة، بعدما كان كثير من الناس يظن أن القرب من الله لا يتحقق بالرقص في المساجد وإحياء البدع والخرافات والتبرك بالقباب والأضرحة.

ومن أعظم الثمرات أيضاً أنها تحفظ الأجيال القادمة من الانحراف العقدي

والسلوكي، فتربى الشباب على التوحيد الخالص والاتباع الصادق، وتجنبهم الشرك والبدع، فتقوم في نفوسهم الحجة بأن النجاة لا تكون إلا بلزوم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

وقد تجلت هذه الثمرة المباركة في بلدان شتى، ومن أبرزها اليمن، حيث بارك الله في جهود العلماء وطلاب العلم والدعاة الصادقين، فانتشرت دروس العلم، وارتفعت راية السنة، وبدأت معالم الحق تشرق في القلوب.

ومع مرور الزمن ظهرت نتائج مباركة: فهُجرت القباب التي كانت تُزار وتُعبَد من دون الله، وخدمت نيران الموالد والاحتفالات المبتدعة، وضعفت شوكة المشعوذين والدجالين الذين طالما أضلوا الناس. وأقبلت القلوب على المساجد، وتعلقت النفوس بالله بدلاً من التعلق بالأولياء والأضرحة، فعُظِم الخير وازداد الوعي، وصار الناس يميزون بين الحق والباطل، والسنة والبدعة، والتوحيد والشرك.

ولم يكن ذلك خاصاً باليمن وحدها، بل امتد أثر الدعوة السلفية -بفضل الله- إلى ربوع إفريقيا، وبلدان الوطن العربي، ومواطن شتى من العالم الإسلامي.

فأشرقت أنوار التوحيد في قلوب كانت غارقة في الخرافة، وتهافت قباب الشرك التي كانت تُعبَد من دون الله، وضعفت أصوات الموالد والأهازيج التي

طالما أضلت العامة. وصار المسلمون يقبلون على حلق العلم ومجالس القرآن والسنة، ويهجرون الشعوذة والدجل والرقص الصوفي، حتى صارت السنة غريبة في الماضي مألوفة في الحاضر.

إنها دعوة مباركة تُقيم الحجة، وتُبين المحجة، وتفتح للناس أبواب الرجاء واليقين، وتعيدهم إلى الصراط المستقيم.

ومن هنا كانت ثمارها عظيمة مشهودة لكل من أنصف وتأمل، إذ يصدق عليها قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزُّبَيْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

فحق لنا أن نحمد الله على هذه النعمة، ونبشّر الأمة بأن وعده حق ونصره قريب، وأن هذه الدعوة القائمة على الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح ثابتة راسخة، تهدم الباطل وتقيم الحق، حتى يحق الله الحق بكلماته ويقطع دابر القوم الكافرين.

فسبحان الله العظيم، لقد كان للتصوف المنحرف في كثير من البلاد صولةٌ وجولة، حضراتٌ وموالد، وشعوذةٌ ودجل، حتى إن المشعوذين فتحوا لهم دكاكين يزاولون فيها باطلهم صباح مساء، يتكسبون بخداع الناس والضحك عليهم.

ولكن الفضل الله تعالى وحده، الذي أذلهم الله وأخزاهم، وذهب سلطانهم،

وأصبحوا يتخفون كما تتخفى الجرذان في جحورها، بعد أن كانوا يتصدرون المجالس ويُخدع بهم العوام.

بل بلغ الحال أن كثيرًا من الناس صاروا يستحيون من الانتساب إلى التصوف، حتى إذا قيل لرجل: أنت صوفي، اضطرب وخاف وانحرج، فكيف بمن يُمارس طقوسهم الباطلة؟! وهذه آية ظاهرة على انحسار باطلهم وبوار سوقهم.

ومع ذلك، فإننا لا نزعم أنهم قد انتهوا بالكلية، فما زال دعواتهم الكبار يسعون في الأرض نشرًا لباطلهم وترويجًا لشركهم، من أمثال القبوري الضال عمر بن حفيظ، الذي لا يزال يعلم الناس التعلق بالقبور والبدع والخرافات، والمنافق عليم اللسان علي الجفري صاحب اللسان الماكر، الذي يلبس على الناس دينهم ويزين لهم طرق الضلال، ومن شاكلهم من دعاة الباطل أمثال جمعة ومن سار على نهجه.

ولا ننسى ما يقوم به الدجال المشعوذ محمد فوزي الكركري، صاحب الطريقة الكركرية، الذي وصل به الحال أن كرّمته بريطانيا لأجل نشره التصوف المنحرف، وكذلك المغيلي الجزائري الذي بلغ من خُبثه أن زعم أن ما يحدث من قتل وفتن إنما سببه ترك التبرك بالقباب! وهنا نتذكر كلمة الإمام المحدث مقبل الوداعي رحمته الله حين قال ساخرًا من بعض الحزبيين بعد أن ذكر كلامه

الباطل قال: يكاد المرء أن يضحك من ركبته.

ومع كل ذلك، يبقى الفضل لله أولاً وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، في نشر التوحيد وإخماد نار البدع، فقد أظهر الله السنة وأذل الباطل وأهله، وصدق وعده

سبحانه إذ قال: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١) [الإسراء: ٨١].



الخاتمة



الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه ثمر الجهود وتحل البركات، وبعد:

فإن البحث في الدعوة إلى التوحيد في بيئات يغلب عليها التصوف كشف لنا عن جملة من الحقائق العظيمة، والنتائج المهمة التي لا غنى للداعية عنها: أولاً: أن أعظم رسالة وأشرف دعوة هي دعوة الأنبياء والرسول إلى عبادة الله وحده لا شريك له الدعوة إلى التوحيد الخالص، وهذه هي روح الدعوة السلفية ولبّها، وما أحوج الناس إليها في كل زمان ومكان، ولا سيما في المواطن التي ابتليت بالشركيات والبدع والخرافات.

ثانياً: أن واقع كثير من مناطق التصوف—مع ما فيها من مظاهر عبادة القبور، والغلو في الأولياء، والتعلق بالخرافات والشعوذة أن واقعهم حب الخير وحب التوحيد والفطرة السليمة التي لوثها دعاة الشرك والوثنية— وهذا يُظهر الحاجة الماسّة إلى تجديد معالم التوحيد في نفوسهم، وتصحيح المفاهيم التي اختلطت عليهم عبر الأجيال.

ثالثاً: أن الدعوة السلفية—برغم قلة إمكاناتها وضعف وسائلها في كثير من

المواطن- قد أثمرت بفضل الله ثمراتٍ باهرة، تمثلت في هداية أفراد وأسرة، وتحول قرى ومجتمعات إلى التوحيد الخالص، واندثار مظاهر الشرك والبدعة شيئاً فشيئاً.

وهذه دلائل واضحة على أن الحق إذا قام به أهله وصبروا عليه انتشر وعمّ، وإن عارضه أهل الأهواء وحاربوه.

رابعاً: أن من التحديات الكبرى التي تواجه دعاة التوحيد: مقاومة أصحاب المصالح المرتبطة بالطرق المنحرفة، والتشويه الإعلامي والاجتماعي، وضعف إعداد بعض الدعاة علمياً أو أسلوبياً. غير أن هذه التحديات لا تعني الانكفاء أو اليأس، بل تزيد الداعية عزيمةً على الاستعانة بالله، والأخذ بأسباب القوة، والتمسك بالحكمة والرفق.

خامساً: أن الدعوة في مثل هذه المواطن تحتاج إلى حكمة بالغة، وصبر طويل، وفقه في المراحل التربوية، بحيث يُقدّم التوحيد بلغة يفهمها الناس، وتُزال المنكرات تدريجياً، مع تجنب الصدمات والجدالات العقيمة واستثمار القلوب الصافية والعقول المستعدة لقبول الحق.

وفي ضوء ما سبق، تتأكد عدة توصيات عملية:

(١) العناية الفائقة بإعداد الدعاة علمياً وتربوياً وأسلوبياً، ليكونوا قدوة حسنة وأهلاً لتحمل أعباء الدعوة.

(٢) ضرورة ربط الدعوة السلفية بالعلماء الراسخين، والرجوع إلى كلامهم واستشارتهم، لاسيما في النوازل والأمر المستجدة.

(٣) توظيف الوسائل الحديثة - من إعلام واتصال وتعليم - في نشر التوحيد وبيان بطلان البدع بأسلوب مناسب وجذاب والاستعانة بطلاب العلم من ذوي الخبرة في التصاميم .

(٤) ينبغي أن يشعّ الخطاب الدعوي بروح الإيمان والرحمة، حتى يدرك المخالف أن الداعية شفيقٌ به، صادق في نصحه، بعيد عن التعالي والجفاء. ويُظهر الداعية بوضوح أنه إنما يدعو إلى الله وحده لا شريك له، لا إلى نفسه ولا إلى جاهٍ أو مال، ولا يبتغي خصومةً أو مصلحة دنيوية، ويكرر على مسامع الناس أنه عبدٌ لله، غايته هداية الخلق إلى التوحيد وعبادة الله وحده، اقتداءً بالرسل الكرام الذين قالوا لأقوامهم: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩].

(٥) توثيق النجاحات الدعوية ونقل النماذج الواقعية، ليزداد الناس يقيناً بأن طريق التوحيد مثمر، وأن بذور الدعوة تنبت حيثما وُضعت.

(٦) ينبغي للداعية أن يكون عفيفاً نزيهاً، بعيداً عن أموال الناس وحرمتهم، متورعاً عن الشبهات المالية والشهوات، حذراً من مواطن الريبة أشد الحذر؛ فإن أي زلّة في هذا الباب قد تُستغل للطعن في دعوته، أو للتشويه والافتراء عليه،

فتضعف الثقة به وبما يحمل من حق.

لذا كان لزامًا على الداعية أن يصون نفسه، ويظهر بمظهر القدوة في الورع والتعفف، ليبقى صوته صافيًا مسموعًا، ودعوته نقية مؤثرة.

وخلاصة الأمر: إن الدعوة السلفية هي امتداد لدعوة الأنبياء، وهي السبيل الأقوم لنهضة الأمة وصلاحتها، ودوامها مرهون بتمسك أهلها بالعلم والرفق والصبر.

نسأل الله تعالى أن يبارك في جهود الدعاة إلى التوحيد، وأن يفتح لهم القلوب، وأن يجعل أعمالهم خالصة لوجهه، وأن ينصر بهم الحق، ويخذل بهم الباطل، ويجعلهم مفاتيح خير مغاليق شر، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه: موسى بن ثابت بن محمد المطري

١٤٤٧-٤-٢٦هـ





فهرس



٥.....	المقدمة.....
٨.....	أهداف البحث.....
٩.....	أسباب كتابتي لهذا البحث.....
١٢.....	خطة البحث.....
١٤.....	تعريف التصوف ونشأته.....
١٦.....	مراحل الانحراف.....
١٩.....	مصادر التلقي عند الصوفية.....
٢١.....	أهم انحرافات الصوفية في العقيدة والعبادة والسلوك.....
٢٧.....	التحديات التي تواجه داعي إلى الله.....
٤٤.....	التوجيهات العملية للدعاة في التعامل مع بيئات التصوف.....
٦٩.....	ثمرات الدعوة السلفية.....
٧٥.....	الخاتمة.....
٧٩.....	فهرس.....

